جدليّة الفهم والتّأويل عند بول ريكور: من الفهم إلى التّأويل ومن التّأويل إلى الفهم

The dialectic of comprehension and interpretation of Paul Ricoeur: from comprehension to interpretation and from interpretation to comprehension

أ. عبد الرّحمن حجو♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال:DOI:10.33705.0114.026.066.004

تاريخ الاستلام: 06-05-2023 تاريخ القبــول: 17-05-2024

ملخّص: مع بول ريكور خاصّة، وغيره من الذين اشتغلوا بالهيرمينوطيقا عامّة نُدرك أنّ هناك علاقة جدليّة بين الفهم والتّأويل؛ هذه العلاقة لا يمكن أن تُحدَّد إلاّ إذا كانت هناك إجابة على أسئلة من قبيل: ما الفهم؟ وما التّأويل؟ وكيف يمكن أن نُحسِّنهما؟

حول هذه الأسئلة تتمركز عناصر هذا المقال، محدِّدة: الفهم، والتّأويل واللاتطابق المعرفي والحلقة الهيرمينوطيقيّة الكامنة بينهما.

كلمات مفتاحيّة: الفهم؛ التّأويل؛ علاقة جدليّة؛ هيرمينوطيقا؛ بول ريكور.

♥جامعة تيبازة، الجزائر، البريد الإلكتروني: hadjou.abderrahmane@cu-tipaza.dz، (المولّف المرسل).

Abstract: With Paul Ricoeur in particular, and others who worked in hermeneutics in general, we realize that there is a dialectical relationship between understanding and interpretation. This relationship cannot be determined unless there is an answer to questions such as: What is understanding? And what is the interpretation? How can we improve them?

It is around these questions that the elements of this article are centered, defining: understanding, interpretation, epistemological asymmetry and the inherent hermeneutical link between them.

Keywords: comprehension; interpretation; dialectical relationship; hermeneutics; Paul Ricoeur.

1. مقدّمة: منذُ بداية الثّلاثينيات من القرن الماضي، بدأت نصوص بول ريكور تظهر للوجود، وبالضّبط سنة 1932؛ أي لما بلغ حوالي 19 سنة من عمره، باعتباره ولد عام 1913، وإلى آخر ما كتبه عام 2004 وقبل وفاته سنة 2005، نلاحظ أن هناك منهجيّة تفكُّريّة تضبط رؤيته وفلسفته، أو ما تم الاصطلاح عليه بالهيرمينوطيقا الرّيكوريّة، أو هيرمينوطيقا الذّات، ذلك لأنّ الإنسان باستطاعته أن يُؤوِّل عالمه وزمنه وتاريخه وسردياته وذاكرته، كما يمكن أن يؤوِّل ذاته عينها والآخر –على حد تعبيرات ريكور– وأن ينتقد ويعتقد؛ بل أن يحيا وفق تلك المنهجيّة لا غير.

تميّزت فلسفة بول ريكور بخيط يقودُها في جميع مساراتها وتحولاتها، ومقولاتها ومفاهيمها؛ إذ تتأسّس نظريته على فكرة التّكامل بين المتعارضين والمتناقضين من جهة، ومن جهة أخرى ترك المجال مفتوحاً أمام كل عمليّة هيرمينوطيقيّة نصَّبت نفسها للتفكّر المعرفي، والبحث في القضايا التي يُصادفها الإنسان في حياته وما يحيطُ به.

يقعُ هذا المقال، ويدور في فكرتين أساسيتين، وهما محورَا هيرمينوطيقا بول ريكور، وجدليتُه تتدحرج بينهما، الأوّل يلخّصه مبحثُ ما الفهم؟ والثّاني يبينُه سؤال ما التّأويل؟. ولذلك جاءت الخاتمة تبين النّتيجة القائمة عن العلاقة بينهما؛ أي تبين كيف يمكن أن نُحسنَ من عمليتي الفهم والتّأويل؟، وكيف تتم عمليّة استيعاب مُختلف القضايا الإنسانيّة؟ ونزعُم أنّ هذه القراءة تكاد تكون شبه إحاطة عامة بمؤلّفات ريكور، ومنهجيته التّفكريّة الهيرمينوطيقيّة التي امتاز بها.

2. ماذا يقصد ريكور بمصطلح الفهم؟ –يقابل مصطلح الفهم عند بول ريكور مصطلح (La comprehension) الفرنسيّة؛ وبهذا التّعيين يشمل معنى الاستيعاب وغيره من المرادفات والإيحاءات والإحالات التي نجدها في الثّقافة العربيّة، أضف إلى ذلك أنّ هيرمينوطيقا ريكور تتميز بعدم مَفْصَلَة التّفسير والفهم والتّأويل عن بعضهم البعض؛ أي أنّ هناك ترابطاً وثيقاً بين الفهم والتّفسير من جهة، وبين الفهم والتّأويل من جهة أخرى وهو بهذا يُخالفُ أساتذته ومن سبقه فالهيرمينوطيقا الرّيكوريّة تتميز عن هيرمينوطيقا ديلتاي، كما تتميّز عن هيرمينوطيقا هيدغر؛ وكذلك عن هيرمينوطيقا غادامير فما الفهم عند بول ريكور؟ وبم تتميّز هيرمينوطيقا الفهم الرّيكوريّة؟

لقد تميّزت فلسفة بول ريكور –عموماً– في جل الحقول المعرفيّة التي اشتغل عليها بالانفتاح، هذا ما جعله يبني تأملاته ورؤيته على فكرة التّكامل والتّضمُّن بين مختلف المفاهيم التي عمل على تحديدها، وبين مختلف الفروع المعرفيّة التي اقتصرت بحوثه ودراساته عليها؛ إذ نجده يقارب ويقابل بين النّص والفعل، كما فعل خاصّة في كتابه: "من النّص إلى الفعل: أبحاث التّأويل" حسب التّرجمة العربيّة التي قام بها محمد برادة وحسان بورقيّة، أو ما نجده عند مقابلته وتحليلاته للأيديولوجيا واليوتوبيا، في كتابه المهم: "محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا" وفق ترجمة فلاح رحيم، ويمكن أن نضيف من مقابلاته وتكاملاته، ما فعله في كتابه: "الانتقاد والاعتقاد"، الذي ترجم قسماً منه حسن العمراني، وكذلك ما نتحراه

في البحث عن العلاقة بين الزّمان والسّرد في دراسته وموسوعته الثّلاثيّة، التي ترجمها سعيد الغانمي وفلاح رحيم؛ بل يمكن أن نرى شكلا من أشكال ذلك التّقابل والتّكامل في كتابه: "الذّات عينها كآخر"، وكتاب: "الذّاكرة، التّاريخ، النّسيان" اللذان ترجمهما جورج زيناتي؛ إذ في الكتاب الأوّل تأمل ريكور ثنائيّة الذّات والآخر، أو العلاقة مع الآخر ومشكلة الهويّة، وتحرَى في الكتاب الثّاني البحث عن العلاقة بين المفاهيم الثّلاثة (الذّاكرة، التّاريخ، النّسيان). فالفهم عند ريكور يكمن في ضرورة البحث عن العلاقات والتّرابطات الوثيقة بين مختلف المصطلحات والمفاهيم والقضايا الفكريّة، من دون الخلط، وتجاوز الحدود الفاصلة بينها، وما يهم أيضًا ضرورة إظهار التّأثير المتبادل وتعزيز التّفاعل الإيجابي بينها.

من ذلك الفهم والتّقابل، ما نجده متعلقا في "العلاقة بين الفلسفة والدّين، أو بالأحرى اللاهوت، (إذْ) حرص ريكور دائماً على التّمييز بين أسلوب الخطاب الفلسفي ومضمونه، من جهة، وأسلوب اللاهوت ومضمونه من جهة أخرى؛ وذلك من أجل تجنُّب الخلط بين الأنواع والفروع المعرفيّة المختلفة"[1]. وفي هذه النّقطة بالضّبط، أو في البحث عن العلاقة والصّلة بين الفلسفة واللاهوت، ورغم كل ذلك الحرص، "اتهمه بعض النّقاد بأنّ فلسفته ليست إلاّ لاهوتاً متخفياً (Crypto–Théologie)"[2]، وفي هذا الصّدد قال: "إنْ كنتُ أدافع عن كتاباتي الفلسفيّة وأنفي التّهمة الموجهة إليها بأنّها كتابات لاهوتيّة مستترة، فإنّي في الوقت عينه أظلُ مُنتبهاً بالمقدار ذاته كي لا أُحمّل الإيمان الدّيني وظيفةً فلسفيّة خفيّة، وهذا ما كان سيحصل لو كُنا نَنتظر من مثل هذا الإيمان حلاً نهائياً لكل استعصاء تُواجهه الفلسفة، حين تعالج وضع الهويّة الذّاتيّة على الصّعيد العملي والسّردي والأخلاقي والواجبي"[3]. فبول ريكور يظل دائما مُنتبها في فهمه، ومستوعباً للقضيّة والعلاقة التي يبحثُ عنها، ولا يؤْمنُ بالحل النّهائي والإجابةَ الكاملة، وهذه شُروطٌ

من شروط الفهم عند ريكور، خاصّة عندَ التّمييز بين المتقابلات أو البحث عن التّكاملات المعرفيّة.

ومن الأمثلة التي تُبين لنا ذلك الفهم والوعيّ، والتّنبه والحرص، والتّقابل والبحث عن العلاقة المشتركة والمترابطة بين المفاهيم والقضايا الفكريّة، ما نجدُه في قوله: "يبدو لي أنّه مهما عُدْتُ بالذّاكرة إلى الوراء، سأجدُ أنّي كنت دوماً أسير على قدمين. ولا يعود حرصي على عدم الخلط بين الأجناس إلى احترازٍ ميتودولوجي وإنّما إلى التّأكيد على مرجعٍ مزدوجٍ، يحظى عندي بأولويّة مطلقة. وقد أعطيتُ لهذا، على مدار تفكُراتي، سلسلة من الصّياغات، ربما يكون أدقها وأفضلها الآن هو ما تُعبِّر عنه العلاقة بين الاعتقاد والانتقاد، التي أمنحُها دلالةً سياسيّة بارزة للغاية، في إطار الحياة الدّيموقراطيّة: إنّنا نُشكل ثقافة كانت لها على الدّوام اعتقاداتٌ قويّة، متشابكةٌ مع بعض اللّحظات النّقديّة. بيد أنّها ليست إلاّ طريقة للتعبير عن قطبيّة الانتقاد والاعتقاد، لأن الفلسفة ليست نقديّة فحسب، وهي تقوم كذلك على الاعتقاد. كما أنّ الاعتقاد الدّيني يتوفر هو نفسه على بُعد نقدي داخلي"[4]. فريكور دائما يبحث عن تداخل وتأثير متبادَلٍ بين مجالين أو مفهومين ذلك لأنّه ينطلقُ من رؤيّة فلسفيّة تُؤمنُ بأنّه دائماً يوجدُ نوع من التّنافذِ بين مُختلف الحُدود والفُهوم والدّلالات.

نجدُ ريكور يطبق هذه الرّؤيّة مع مفهومَي الأيديولوجيا واليوتوبيا؛ إذ يكتسبان معناهما من خلال التّقائهما كثُنائيّة دالّة من المُصطلحات المتضادّة، فالذي تشترك به اليوتوبيا مع الأيديولوجيا، هو ضَربٌ من اللاتطابق، عدم التّوافق مع حالة الواقع الذي تحدث فيه. وحيث تَميل اليوتوبيا إلى تدمير، إمّا جزئي أو كُليّ لنظام الأشياء السّائدة في زمنها. هنا يمكن تعريف الأيديولوجيا بتضادّها مع اليوتوبيا؛ أي أنّها ما يحافظ على نظام مُعيَّن[5]، بمعنى أنّه يمكن أنْ نُعرفَ الأيديولوجيا انطلاقا من تعريف اليوتوبيا، كما يمكن أن نحدّد هذه الأخيرة انطلاقا من الأولى، هذا مع العلم أن ريكور يميز بين المفهومين والعلاقة الكامنة من

خلال طرح جوهر مُشترك واختلاف بينهما؛ وهذا هو معنى التّنافذ الذي يقومُ عليه الفهم الرّيكوري، والذي يسعى من خلاله إلى مدى إمكان تجاوز التّعارضِ.

إذن يسعى بول ريكور دائماً إلى البحثِ "عن خيطٍ خفيٍّ يصل به ما تنازع عليه الفلاسفةُ وتصارعوا، اختلافاً ومغايرةً لا تطابقاً ومماثلَةً"[6]. ويظهر لنا كذلك البحث عن خيطٍ رفيعٍ أو خفِيٍّ ما فعله ريكور بين الفينومينولوجيا والهيرمينوطيقا ولهذا اعتبر أنّ "الفنومينولوجيا ستبقى، لا محالةَ، افتراضُ الهرمينوطيقا المُتَعَذَّر تجاوُزَه، كما لا يمكن للفنومينولوجيا، من جهةٍ أخرى، أن تَبني نفسها دون افتراضٍ هرمينوطيقي"[7].

إنّ الفهم عند ريكور يتمُّ بواسطة رمزيّة اللغة، وما تمنحنا إياه، وهذا بعدما يتمّ إخراجها من ضيق الثّنائيات؛ وبهذا ففلسفته الهيرمينوطيقيّة تنحصر في البحث عن تفسير المعنى المستتر وراء الظّاهر، إلى سعة النّصوص، حيث تتبدّد أوهام الذّات في وجود معرفة حدسيّة[8]. فالفهمُ هو حصيلة ونِتاج ذلك التّفاعل بين الطّرفين، أي أطراف الثّنائيّة الواحدة، بمعنى أنّه لا يمكن أن يكون مستقلًا، كل طرف على حدة؛ بل المعنى ينتجُ من خلال تحليل الطّرفين معاً، وإيجاد منفذٍ أو خيطٍ خفيّ بينهما، "فالفهم يبدأ دائماً ضمن أُفق الفهم المسلم به مسبقاً، وكذلك ينتهي داخله"[9]، ففهم النّصوص يكمن في التّحلي بالانفتاح والتّجاوب مع كل مرحلة تاريخيّة أو زمانيّة متعلّقة بالفهم، فلا معنى للفهم الثّابت أو المستقر؛ بل يبقى المعنى دائما نسبيا، وغير متطابق حرفيا.

ولو شئنا أن نزيد من ضرب الأمثلة التي تبين فهم ريكور وتحليلاته للقضايا ما كان حول قضيّة الاستعارة؛ إذ تم تحديد فهمه في بحث الاستعارة كالآتي: "إنّ النّظريّة الاستعاريّة لريكور تعمل على تخصيص النّص الأدبي بإحالةٍ وحقيقة وقصديّة يتمُّ تشييدُها على أساس أنقاض الإحالة والحقيقيّة والقصديّة التّعيينيّة أو التّقريريّة. وبهذا فإنّ ريكور يستقلُ طريقاً مختلفةً عن الطّريق التي تسلكها نظريّة الأدب في القرن العشرين: ففي حين عملت هذه على إقامة فروقات وتمييزاتٍ

تَخلُصُ إلى تعارضات من قبيل اللُّغة الطّبيعيّة (المعرفيّة، التّقريريّة، المرجعيّة) اللُّغة الأدبيّة (التّعريب، الإيحاء، اللامرجعيّة)، فإنّ نظريّة ريكور تبحثُ عن المحور الذي يُربط به كل المجال اللغوي. وفي حالتّه فإنّ المحور ماثلٌ في المرجعيّة: فلا وجود لتعارضٍ بين اللُّغة الطّبيعيّة واللُّغة الأدبيّة في مفاهيمه للإحاليّة/ وعدم الإحاليّة، إنهما معاً يُحيلان، ولو كان ذلك بشكلٍ مُختلفٍ، على الطّريقة التّعيِينِيّة أو الاستعاريّة"[10]، فالفهم الرّيكوري لا يقوم على إقامة فروقات وتمييزات تَخلص إلى تعارضات؛ بل على العكس من ذلك، فإنّه يقوم على البحث عن محور يربط بين المتعارضين. كما فعل تماماً في كتابه: "الاستعارة الحيّة" بين طبيعة الاستعارة ووظيفتها سواء في اللّغة الطّبيعيّة/ العلميّة، أم اللُّغة الأدبيّة.

إنّ الفهم عند ريكور لا يهمه وجود التّعارض بين قضيتين أو مفهومين أو مجالين، بقدر ما يهمه تلازم مساريهما، ونقطة التّقاء تحولاتهما. ولهذا اكتشف باكراً "أنّ كل فعل إرادي تدخل فيه كل مُكوِّنات الفعل اللاإرادي، وبالتّالي فإنّ الإرادة لا تعني الخلق"[11]. ومن أجل البحث عن المسافة بين الفعل الإرادي والفعل اللاإرادي كتب لنا ريكور كتابه: "فلسفة الإرادة: الإنسان الخطاء" حسب ترجمة عدنان نجيب الدّين، وهو في الحقيقة الجزء الأوّل من كتاب: "فلسفة الإرادة: التّناهي والذّنب"؛ أمّا الجزء الثّاني، فهو بعنوان: "رمزيّة الشّر" الذي لم يترجم بعد إلى العربيّة.

فالفهم عند ريكور إذن يحصل من خلال إدراك المسافة الفاصلة بين صراع التّأويلات، فما التّأويل؟ وما علاقته بالفهم؟، حول هذين السّؤالين تتمحور أفكار الصّفحات القادمة.

3. ما معنى التّأويل عند بول ريكور؟ –يقابل التّأويل مصطلح (L'Interprétation) الفرنسيّة، وهو غير مصطلح الفهم (La Comprehension)، أو التّفسير (L'Explication)، وهو كذلك غير مصطلح هيرمينوطيقا (herméneutique) ؛ إذ أنّ هذه الأخيرة أشمل وأعم، فهي مع

ريكور –خاصّة– تنشغلُ بالمسائل المنهجيّة والإبيستمولوجيّة والأنطولوجيّة، بمعنى أنّها تدرس وتحلّل مختلف تلك الظّواهر أو الأنماط المعرفيّة، فريكور يدرسُ الفهمَ مثلاً: "بوصفه أسلوباً أو نَمطًا من أنماط المعرفة قبل دراسته بوصفه نَمطًا أو طريقةً في الكينونة. ويمكنُ القول إنّ هذا النّوع من التّوسُّط (La Médiation)، سمة مميزة ومحايثة للهيرمينوطيقا الرّيكوريّة، التي يمكن تعريفها بأنّها هيرمينوطيقا للذات بامتياز؛ لأنّ موضوع هذه الهيرمينوطيقا وغايتها الأخيرة يتمثَّلان في فهم الذّات لنفسها (La Compréhension de soi)"[12]؛ أن يعرفَ الإنسان ذاته من خلال القضايا التي تعترضه.

إنّ منهج التّوسُّط عند ريكور جعله يؤمن ويحرص على فكرة التّكامل وعدم التّعارض بين مختلف أنماط المعرفة، فهو يرى أنّه علينا أن نفهَمَ كي نُؤوِّل، غير أنّ علينا أن نُؤوِّل كي نَفهَمَ؛ أي أنّ كلاّ منهما يتغذّى من الآخر، وبهذا تعتبر الهيرمينوطيقا هي طريق كل من الفهم والتّأويل. وإذا كان المعنى هو موضوع الفهم، فإنّ فهم المعنى هو موضوع التّأويل، كما أنّ فهم المعنى المؤوّل هو موضوع الفهم؛ بل إنّ ذلك التّوسّط، جعله يرى أنّ هناك طريقان متكاملان جوهريان للقوس الهيرمينوطيقي، وهما طريق الشّك وطريق الثّقة[13]. وإذا كان الفهمُ مُرتبطًا بإحد الطّريقين في كل عمليّة قراءة، فإنّ التّأويلَ مرتبطٌ بالتّوفيق والجمع بين الطّريقين حتى وإن كانا متناقضين.

قد يرتبطُ الفهم بما يريد المؤلّف قوله، أو ما يريدُه النّص أو الخطاب المكتوب قوله، أمّا التّأويل فإنّه مرتبطٌ بهما معا؛ بل ويزيد على ذلك فهم مختلف القراءات مُحاولاً في الأخير التّوفيق بينها جميعاً، يقول بول ريكور: "إنّ المقصد الذّاتي للذّات المتكلِّمة ودلالة خطابها يتَماهَيان، بحيث لا فرق بين أن نفهَمَ ما يريدُ المؤلِّف قولَه وبين ما يريد خِطابُه قولَه [...] ومع الخِطاب المكتوب يكفّ مقصد المؤلِّف ومقصد النّص عن أن يَتَطَابَقا [...] وليس ذلك لأنَّنا نَستطيع فهمَ نَصّ كاتِب مُعيَّنٍ، إذ إنَّ الصّلة بين المتَكلِّم وبين الخِطاب غير مُقوَّضَة، وإنَّما تغدو

ممطَّطَةً ومُعقَّدةً [...] ومسار النّصّ ينفلت من الأُفُق المنتَهِي المعيش مِن المؤلِّف. فما يقولُه النّصّ أهم بكثير مما أراد المؤلِّف قوله"[14]. ومن خلال مقصديّة المؤلّف ومقصديّة النّص ومقصديّة مختلف القراء، وإمكانيّة إيجاد مسافة بينها جميعاً تحصل العمليّة التّأويليّة عند بول ريكور.

مع العلم أنّ الفهم/ التّأويل ليس شيئاً نجده أو نعثر عليه داخلَ الأشياء؛ بل هو كينونة تحياها الذّات وتكونها، لذا يُقال بأنّ فهم النّصّ وتأويله هو، أوّلاً وقبل كل شيء، فهم وتأويل للذات[15]، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ بول ريكور يميلُ إلى فكرة اللاتطابق المعرفي بين الفهم والتّأويل؛ ففهمُ قصد الشّيء عنده يكون بواسطة فهم تاريخ بدايته، أمّا نظريّة ريكور العامّة في التّأويل فهي نِتاج الفهم التّاريخي، وبعبارة أخرى فإن الفهم يكون دائما مرتبطا بالبدايات، أمّا التّأويل فهو حصيلة مختلف القراءات المتصارعة وحلقاتها المتواصلة، التي يعمل ريكور غالبا على التّوفيق والجمع بينها، وترك المعنى مفتوحاً لتأويلات أُخرى مُستقبلا؛ وبهذا فكل تأويل هو بداية لفهم جديد. فالهيرومينوطيقا في آخر المطاف هي (حكمة اللاأكيد) مثلما وصفها جان غريش[16] –أحد تلاميذ بول ريكور وأصدقائه–، وكما عرفها في قوله، بأنّها: "نظريّة عمليات الفهم المتضمنة في تأويل النّصوص ونظريّة التّصرف والأعمال المنجزة"[17]. أي باعتبارها مجموع المحاورات، ووجهات النّظر مع ضرورة التّصرف والاختيار والإضافة.

فلو ذهبنا إلى كتاب ريكور: "محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا"، لوجدنا أنّه يؤسّس تأويلاته من أفكار كارل ماركس، ولويس التّوسير، وكارل مانهايم وماكس فيبر، ويورغن هابرماس، وكليفورد غيرتز، هذا فيما يخص بناء مفهوم الأيديولوجيا، ومحاولة فهمه وتأويله. أمّا ما يتعلق بمفهوم اليوتوبيا فإنّ عمليته التّأويليّة انطلقت من اختياره لأفكار كارل مانهايم، وسان سيمون، وشارل فوريه ومن خلال محاولة الجمع بين مختلف القراءات تمت العمليّة الهيرمينوطيقيّة

الرّيكوريّة لمفهومي الأيديولوجيا واليوتوبيا، فهي هيرمينوطيقا تقوم على فكرة الحوار بين مختلف الأفكار المترادفة والمتسلسلة، أو المتناقضة والمتصارعة.

أمّا إذا ذهبنا إلى كتابه: "من النّص إلى الفعل: أبحاث التّأويل"، لرأينا أنّه يبني رؤيته التّأويليّة على أفكار كل من إدموند هوسرل، وفريديريك شلايرماخر، وفلهام ديلتاي، ومارتن هيدغر، وهانز جورج غادامير، هذا ما يتعلّق بالجزء الأوّل في الكتاب، الذي كان مخصصا من أجل تأسيس فينومينولوجيا هيرمينوطيقيّة. أمّا في الجزء الثّاني من الكتاب، فإنّه خُصّص لبناء عمليّة تأويليّة، انطلقت من هيرمينوطيقا النّص إلى هيرمينوطيقا الفعل؛ إذ جعل الأفكار الفينومينولوجيّة الهيرمينوطيقيّة تتحاور مع أفكار هيرمينوطيقا النّصوص، خاصّة تلك المتمثلة في البنويّة، وبالضّبط مع أنتروبولوجيا ليفي شتراوس، وسيميوطيقا غريماس ولسانيات بنفنيست، ومختلف نظريات السّرد والتّخييل، والنّقد الأدبي وعلم التّاريخ وعلم الاجتماع. ومن خلال قراءة الثّانيّة بالأولى، أو بالأحرى جعل الأفكار البنويّة والسّرديّة تتحاور مع الفلسفة الفينومينولوجيّة والهيرمينوطيقيّة، تتم العمليّة التّأويليّة عند ريكور. وبهذا المعنى يُعَدّ التّأويل على حد تعبيره: "عمل الفكر الذي يقوم على تفكيك المعنى الكامن في المعنى الظّاهر، على نشر مُستويات الدّلالة الكامنة في الدّلالة الأدبيّة"[18] . وهكذا فهيرمينوطيقا بول ريكور تعود إلى فينومينولوجيا الفهم، كما تعود في الوقت نفسه إلى فينومينولوجيا التّأويل، وفق مبدأ حواري بين مختلف الأفكار والحقول المعرفيّة.

4. خاتمة: انطلقَ المقالُ من سؤال: ما الفهم؟ وسؤال: ما التّأويل؟، وكان أفق توقعه ينحصر في أن الإجابة على السّؤالين، يؤدي بنا إلى نتيجة مُهمة، وهي التي بدورها تنعكسُ عن سؤالٍ ثالثٌ، وهو: كيف يمكن أن نُحسنهما؟. كل تلك الأسئلة مرتبطة بهيرمينوطيقا بول ريكور، فالفهم عنده يقوم على علاقة جدليّة بين المفاهيم المتعارضة أو المتناقضة، بحيث أنّه لا يميل إلى إقصاء أيّ مفهومٍ

كما أنّه يبتعدُ دائماً عن التّبني السّاذج له، ما جعله يبحثُ عن خيطٍ رفيع يمكن الجمع والتّوفيق من خلاله.

مع ذلك البحث والجمع تبدأ العمليّة الهيرمينوطيقيّة عند ريكور، فأن نُؤوِّل يعني أن نَفهم أوّلاً، وأن نَفهم يعني أن نُؤول ثانيا، وهذا لا يؤدي إلى التّطابق المعرفي بينهما، بقدر ما يؤدي إلى التّكامل؛ فالعمليّة شبيهة بحلقة تواصليّة لا تؤمن بالنّهايات، كما أنّ البدايات فيها متعدّدة، وبالتّالي لا يمكن أن نُحسن الفهم إلاّ من خلال عمليّة التّأويل، كما أنّه لا يمكن أن نُحسن التّأويل إلاّ من خلال عمليّة الفهم. وهذا ما أدي في الأخير بكون منهجيّة ريكور منفتحة على مختلف القراءات والتّأويلات المتصارعة، وإن كانت ثمّة حقيقة –مع نسبيتها–فإنّها تُوجَد دائما في الما–بَين.

5. قائمة المراجع:

1) أنطوان كومبانيون، شيطان النّظريّة: الأدب والحس المشترك، تر: حسن الطّالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2023.

2) حسام الدّين درويش، إشكاليّة المنهج في هيرمينوطيقا بول ريكور وعلاقتها بالعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، ط1، 2016.

3) بول ريكور، الذّات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت ط1 2005.

4) بول ريكور، الانتقاد والاعتقاد، تر: حسن العمراني، دار توبقال، المغرب، ط1، 2011.

5) بول ريكور، محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2017.

6) عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة: نحو مشروع عقل تأويلي، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008.

7) بول ريكور، من النّص إلى الفعل: أبحاث التّأويل، تر: محمد برادة وحسان بورقيّة، عين للدراسات والبحوث الانسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، ط1، 2001.

8) ميجان الرّويلي وسعد البازعي، دليل النّاقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط5، 2007.

9) بول ريكور، الاستعارة الحيّة، تر: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1 2016.

10) جورج زيناتي، الفلسفة في مسارها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2002.

11) جان غريش، العوسج الملتهب وأنوار العقل، ابتكار فلسفة الدّين، ج1، إرث القرن التّاسع عشر وورثته، تر: محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2019.

12) جان غروندان، بول ريكور، تر: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ط1 2018.

13) جان غروندان، التّأويليّة، تر: جورج كتوراه، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1 2017.

14) Ricoeure Paul, Le conflit des interprétations, Paris, Éd. Du Seuil. 1969.

15) Ricoeure Paul, Du texte à L'action, Essais d'herméneutique d'herméneutique II, Paris, Éd. Du Seuil. 1986.

16) Jean Greisch, L'hérméneutique comme sagesse de l'incertitude,Paris,le cercle herméneutique, 2015.

17) Manuel Asensi, La metafora en Paul Ricoeur…,op. cit.

6. هوامش:

[1]– حسام الدّين درويش، إشكاليّة المنهج في هيرمينوطيقا بول ريكور وعلاقتها بالعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، ط1، 2016، ص15.

[2]– المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3]– بول ريكور، الذّات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت ط1، 2005، ص106.

[4]–بول ريكور، الانتقاد والاعتقاد، تر: حسن العمراني، دار توبقال، المغرب، ط1، 2011 ص57.

[5]–ينظر: بول ريكور، محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2017، ص256–257.

[6]–عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة: نحو مشروع عقل تأويلي، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008، ص345–346.

[7] - Poul Ricoeur, Du texte à L'action (Essais d'herméneutique II) , Paris Éditions du du Seuil, 1986, p44.

نقلا عن: عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، مرجع سابق، ص347. وينظر: بول ريكور من النّص إلى الفعل: أبحاث التّأويل، تر: محمد برادة وحسان بورقيّة، عين للدراسات والبحوث الانسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، ط1، 2001، ص31. حيث كانت التّرجمة كالآتي: "تقوم الهيرمينوطيقا من جهة على أساس الظّاهراتيّة، وهكذا تحتفظ بما تريد، مع ذلك، أن تبتعد عنه:

بهذا تبقى الظّاهراتيّة افتراضَ الهيرمينوطيقا المتعذر تجاوزه. كما لا يمكن للظاهراتيّة من جهة ثانيّة أن تؤسس نفسها دون افتراضٍ هيرمينوطيقي".

[8]–عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، مرجع سابق، ص351.

[9]–ميجان الرّويلي وسعد البازعي، دليل النّاقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط5، 2007، ص92.

[10] - Manuel Asensi, La metafora en Paul Ricoeur…,op. cit., p271-272.

نقلا عن: بول ريكور، الاستعارة الحيّة، تر: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ط1، 2016، ص31. مقدمة التّرجمة العربيّة.

[11]–جورج زيناتي، الفلسفة في مسارها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2002 ص339.

[12]– حسام الدّين درويش، إشكاليّة المنهج في هيرمينوطيقا بول ريكور، مرجع سابق، ص20.

[13]– ينظر: جان غروندان، بول ريكور، تر: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ط1، 2018، ص93.

[14] -Ricoeure Paul, Du texte à L'action, Essais d'herméneutique d'herméneutique II, Paris, Éd. Du Seuil. 1986.P187.

نقلا عن: أنطوان كومبانيون، شيطان النّظريّة: الأدب والحس المشترك، تر: حسن الطّالب دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2023، ص149.

[15]– عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، مرجع سابق، ص350.

[16]– ينظر: جان غريش، العوسج الملتهب وأنوار العقل، ابتكار فلسفة الدّين، ج1، إرث القرن التّاسع عشر وورثته، تر: محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2019 ص6 (مقدمة المؤلف للطبعة العربيّة). وقد أفرد لتعريف الهيرومينوطيقا كتابا.

Jean Greisch, L'hérméneutique comme sagesse de l'incertitude,Paris,le cercle herméneutique, 2015.

[17]– جان غريش، العوسج الملتهب وأنوار العقل، المرجع نفسه، ص8.

[18] - Ricoeure Paul, Le conflit des interprétations, Paris, Éd. Du Seuil. 1969.P16.

نقلا عن: جان غروندان، التّأويليّة، تر: جورج كتوراه، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ط1، 2017، ص84.